جهود الإمام الترمذي ومنهجه في إعلال الحديث

د. حسن علي حسين (★)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، نحمده ولا نحصي ثناءً عليه ، هو كما أثنى على نفسه ـ والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، الهادي إلى صراط مستقيم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

لا شك أن علم الحديث من أشرف العلوم ، وخدمته من أجل ما يتشرف المشتغل به ، ويعتبر علم علل الحديث من أهم العلوم التي خدمت السنة النبوية . وهو من العلوم التي لم تجد حظاً وافراً من الدراسة , خاصة في زماننا هذا ، فلزم الباحثين ، أن يقدموا ولو جهد المقل في بيان هذا العلم , ودراسة المصنفات فيه ، ومعرفة مناهج علمائه ، وإخراج اللآلئ والدراري منه ، ولدور الإمام الترمذي المشهود في خدمة هذا العلم أحببت أن أبين جهوده ومنهجه في إعلال الحديث ، فالإمام له مصنفان , الأول : العلل الكبير ، ومن خلاله أوضح كثيرا من علل الحديث ، واستبان منهجه في هذا الفن ، ثم أتبع العلل الكبير بالعلل الصغير ، الذي جاء مبيناً لمصطلحاته ، عارضاً لأسانيده ، متضمناً بعض العلوم الحديثية ، فرأيت أن أبرز تلك الجهود مع بيان المنهج الذي سار عليه في التصنيف وإعلال الحديث , وذلك في ثلاثة مباحث ، تحت كل مبحث عدد من المطالب ، فإن أصبت فمن الله العون والسداد ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، وأستغفر الله الكريم المنان.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الترمذي

المطلب الأول : الإمام الترمذي نسبه ومولده

(★) أستاذ مساعد بكلية القرآن بالجامعة .

هو الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل هو محمد ابن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن ، الحافظ العلم الإمام البارع ابن عيسى السلمي الترمذي ، وقال السيوطي : هو محمد بن عيسى سورة بن الضحاك السلمي صاحب الجامع والعلل الضرير الحافظ العلامة وقيل أيضا هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن شداد البوغي الترمذي الضرير ، مصنف الجامع وكتاب العلل وغير ذلك ، ولد في حدود سنة عشر ومئتين . وقد اختلف فيه هل ولد أعمى أم لا ؟ فقيل ولد أعمى ، قال الإمام الذهبي والصحيح أنه أضر في كبره بعد رحلته وكتابته العلم.[1]

المطلب الثاني : مكانته العلمية

الإمام الترمذي صاحب مكانة علمية رفيعة ، يكفي أنه صنف الجامع ، الذي قال في شأنه : صنفت هذا الكتاب وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان هذا الكتاب يعني ـ الجامع ـ في بيته ، فكأنما في بيته نبي يتكلم .[2]

وقد عرف الإمام الترمذي برحلاته وسماعه من شيوخ الأمصار فسمع من شيوخ خراسان والعراق والحرمين ، وقال الحاكم سمعت عمر بن علك يقول مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد بكى حتى عمي[3].

كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع ، والعلل ، والتواريخ ، تصنيف رجل عالم متقن ، كان يضرب به المثل في الحفظ . قال: كنت في طريق مكة فكتبت جزءين من حديث شيخ فوجدته فسألته ، وأنا أظن

---

(1) انظر : سير أعلام النبلاء، للإمام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣هـ ، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط , محمد نعيم العرقسوسي ١٣ / ٢٧٠ . وانظر : طبقات الحفاظ، للإمام : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ ، الطبعة: الأولى ، ١/ ٢٨٢ . وانظر : للباب في تهذيب الأنساب ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار النشر: دار صادر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ١/ص١٨٨ .

(2) انظر : سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي ، ١٣/ ٢٧٤ .

(3) انظر : المرجع السابق ، ١٣/ ٢٧٣ .وطبقات الحفاظ ، للسيوطي ، ٢٨٢/١ .وانظر : الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ٤٥٩/١ .

أن الجزءين معي ، فسألته فأجابني فإذا معي جزءآن بياض ، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقا بياضا، فقال أما تستحي مني . فأعلمته بأمري ، وقلت أحفظه كله ، قال : اقرأ ، فقرأته عليه فلم يصدقني ، وقال استظهرت قبل أن تجيء ، فقلت حدثني بغيره ، قال فحدثني بأربعين حديثا ، ثم قال هات فأعدتها عليه ، ما أخطأت في حرف . [1]

وأخذ الترمذي العلم عن مشايخ أجلاء وهو تلميذ أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري الذي تفقه به في الحديث ، وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد، فحدث عنه ، وسمع من إسحاق بن راهويه ، وخلق كثير من أهل العلم ، فأقدم ما عنده حديث مالك ، والحمادين ، والليث ، وقيس بن الربيع، وينزل حتى إنه أكثر عن البخاري ، وأصحاب هشام بن عمار ونحوه . وحدث عنه مكحول بن الفضل ، وخلق سواهم[2] . قال ابن حبان في كتاب الثقات : كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر[3].

المطلب الثالث : وفاته وأبرز آثاره

توفي الإمام الترمذي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين ، بترمذ ، وقال السمعاني توفي بقرية بوغ في سنة خمس وسبعين ومائتين ، وذكره في كتاب الأنساب في نسبة البوغي رحمه الله تعالى ، وبوغ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ[4] . ولا تعارض بين القولين فبوغ هي إحدي قرى ترمذ .

ومن أبرز ما خلفه الإمام الترمذي رحمه الله تلك الآثار الجليلة التي تشهد له ببراعته ، وحذاقته ، فحسبك تصنيفه للعلل الكبير ، والصغير وجامع السنن ، وحسبك أنه تلميذ أبرع من حاز فنون هذا العلم في كل عصوره وهو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، الذي وصفه تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج بقوله : أستاذ

---

(1) انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ١٣/ ٢٧٣ .

(2) انظر : تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ، ٦٣٤/٢ . وسير أعلام النبلاء ، للذهبي ١٣/ ٢٧١

(3) انظر : الثقات ، للإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر: دار الفكر - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ٩/ ١٥٣ .

(4) انظر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان ، دار النشر: دار الثقافة - لبنان، تحقيق: إحسان عباس ، ٢٧٨/٤ ، وانظر : الأنساب، للسمعاني ، ٤٥٩/١

الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله ، فعليه تتلمذ الإمام الترمذي وأخذ عنه الكثير في علم العلل ، فجزاهم الله عن سنة نبيه ﷺ خير الجزاء .

المبحث الثاني

جهود الإمام الترمذي وتصانيفه في علم العلل

المطلب الأول : جهود الإمام الترمذي في علم العلل

يعتبر الإمام الترمذي من أبرز علماء الأمة خدمة لعلم علل الحديث ، ذلك العلم الذي لا يعرف الغور في أسباره إلا الأكابر من أهل الحديث وحذاقهم ، وقد بين الإمام الترمذي سبب البحث عن علل الحديث ، والغاية من ذلك فقال : (وإنما حملنا على ما بينا في هذا الكتاب من قول الفقهاء وعلل الحديث لأنا سئلنا عن هذا فلم نفعله زمانا ، ثم فعلناه لما رجونا فيه من منفعة الناس ، لأنا قد وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه . منهم : هشام بن حسان ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، وسعيد بن أبي عروبة ، ومالك بن أنس ، وحماد بن سلمة ، وعبد الله بن المبارك ، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وغيرهم من أهل العلم والفضل صنفوا ، فجعل الله في ذلك منفعة كثيرة ، فنرجو لهم بذلك الثواب الجزيل عند الله ، لما نفع الله به المسلمين، فبهم القدوة فيما صنفوا)[1]

فالبحث عن العلل ليس محله روايات الضعفاء ، وإنما يبحث عنه في مصنفات الثقات ومروياتهم ، وهذا الذي أشار إليه الإمام الترمذي أنهم فعلوا ذلك لما كثرت تصانيف الثقات ، فالثقة على كثرة ما يروي فليس بمعصوم عن الخطأ والوهم ، والنسيان . وهذا هو الذي أعطى علم العلل أهميته ، وذلك لأن رواية الثقة للحديث ، تكسبه في الأصل صفة الصحة الظاهرة والسلامة التي تجعله مقبولا محتجا به [2]، ولذا فالإمام الترمذي قد عكف على مرويات هؤلاء الثقات ونظر فيها

([1]) انظر : العلل الصغير ، للإمام الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ٧٣٨/١

([2]) انظر : لكتاب : شرح علل الترمذي ، للإمام العالم الحافظ النّقاد زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المعروف (بابن رجب الحنبلي) تحقيق : د.نور الدين عتر ، مع مقدمة تحقيق د.همام عبد

، و نقب عن علل الحديث في مصنفاتهم ، وتَعْظُمُ هذه الجهود عندما ندرك أن مصادره التي اعتمد عليها هي أعلى المصادر في هذا الشأن ، فيقول في العلل الصغير : وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ ، فهو ما استخرجته من كتب التاريخ ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل ، ومنه ما ناظرت به عبد الله بن عبد الرحمن ، وأبا زرعة وأكثر ذلك عن محمد وأقل شيء فيه عن عبد الله وأبي زرعة ، ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل[1] ومعلوم أن البخاري تلميذ ابن المديني شيخ العلل .

أتحفنا الإمام الترمذي بكتابين من أجل المصنفات في هذا الفن ، وهما العلل الكبير ، والعلل الصغير ، والذين من خلالهما سندرك تلك الجهود العظيمة التي قام بها في خدمة علل الحديث . وعليه لا بد من التعريف بهذين الكتابين ، والإطلاع على ما فيهما من علوم تتعلق بإعلال الحديث ومصادره ، ومصطلحاته . ولذا أفردت للكتابين مطلبين أتناول من خلالهما الكتابين بشيء من التفصيل مبرزاً الجهود العظيمة التي قدمها الإمام الترمذي في خدمة علم العلل ، وسأتناول في البدء كتاب العلل الكبير ، ثم أعرج إلى كتابه العلل الصغير الذي يعرض فيه منهجه وأسانيده ومصطلحه .

المطلب الثاني : العلل الكبير :

من أبرز الجهود للإمام الترمذي في علم العلل هو تصنيف كتابه العلل الكبير ، ويظن بعض المهتمين والباحثين في الحديث وعلومه ، أن كتاب العلل الكبير للترمذي مفقود ، وغير موجود بين أيدينا الآن ، وهذا ما ذكره الدكتور نور الدين عتر في كتابه : (الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين) حيث يقول : (لكن يد الحدثان طوت عنا هذا الكتاب حتى لا نجد منه ، إلا النقول عنه ، ولولا وفرة هذه النقول لما أمكن أن نكتب هذا البحث) ـ يعني بحثه الذي نال به درجة (الدكتوراه) ، وقد نفى الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ، أن يكون الكتاب مفقوداً. وقال في مقدمة تحقيقه لشرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي (وبحمد الله وجدت هذا الكتاب ، باسم كتاب فيه علل الترمذي الكبير رتبه على أبواب الجامع أبو طالب القاضي ، وهو من مخطوطات مكتبة أحمد الثالث بتركيا وتحت رقم

الرحيم سعيد. ملتقى أهل الحدي www .ahlalhdeth .com ، ١ / ٣٧ .

(١) انظر : العلل الصغير ، ١ / ٧٣٨ .

(٥٣٠))[١]. ولكن هل هذا المخطوط هو العلل الكبير للترمذي نفسه ؟ ، أم كتاب آخر ؟ ونترك الإجابة للفقيه القاضي أبو طالب صاحب المخطوط فيقول : (هذا كتاب قصرت فيه ترتيب كتاب العلل لأبي عيسى الترمذي رحمه الله على نسق كتاب الجامع له حتى يسهل فيه طلب الحديث إذ الأحاديث فيه مفترقة منثورة فلا يضبطها أبواب تذكر فيها فرددت أحاديث كتاب العلل إلى ما يليق بها من كتب الجامع)[٢]. وعليه يمكن إن نقول أن الكتاب الذي وجده الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ليس هو العلل الكبير للترمذي ، وإنما هو كتاب فيه العلل الكبير لأبي طالب القاضي كما أقر هو بذلك . وعليه نقرر أن محتوى العلل الكبير للترمذي موجود كله في مؤلف أبي طالب القاضي المسمى :(ترتيب العلل الكبير للترمذي) فيقول في مقدمته : هذا كتاب قصرت فيه (ترتيب كتاب العلل) لأبي عيسى الترمذي رحمه الله على نسق كتاب الجامع له حتى يسهل فيه طلب الحديث إذ الأحاديث فيه مفترقة منثورة فلا يضبطها أبواب تذكر فيها فرددت أحاديث كتاب العلل إلى ما يليق بها من كتب الجامع . أما الكتاب الأصل الذي صنفه الإمام الترمذي فالله أعلم بمكانه . وعليه سوف أعتمد وبالله التوفيق على كتاب أبي طالب الذي رتبه على أبواب الفقه في جامع الترمذي .[٣]

يعتبر كتاب العلل الكبير للترمذي ، من أقيم ما كتب في علوم الحديث ، خاصة علم العلل ، وتتضح أهميته وقيمته العلمية من خلال النقاط التالية :

[١] الكتاب يحتوي على أكثر من سبعمائة حديث تدارسه الإمام الترمذي مع شيوخه مبينين ما فيها من علل ، كاشفين عن حقائق أسانيدها وما يعتري رواتها من أحوال، وهو عدد ليس بالهين ، خاصة إذا علمنا أنها من الأحاديث المشهورة ، والتي عمل أهل العلم .

[٢] تزداد أهمية الكتاب وقيمته ، من كون الآراء التي وردت في العلل ، ومعرفة الرجال ، أكثرها عن شيخه الإمام محمد ابن إسماعيل البخاري فأغلب

---

(١) انظر : شَرْحُ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ لابن رجب للإمام ، الحنبلي ، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد ، ١ / ٢٨ ، نقلاً عن ملتقى أهل الحديث

(٢)علل الترمذي الكبير، أبو طالب القاضي ، تحقيق صبحي السامرائي , أبو المعاطي النوري , محمود محمد الصعيدي ، عالم الكتب , مكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٩ ، بيروت ، ١ / ١٩ . (الاسم الصحيح للكتاب ترتيب علل الترمذي الكبير).

(٣) انظر : ترتيب علل الترمذي الكبير ، رتبه على أبواب الفقه ، أبو طالب القاضي ، طبعة : عالم الكتب , ١ / ١ .

الأحاديث التي أوردها فيه يقول فيها سألت محمدا عن هذا الحديث ، وهو إمام هذا الشأن وهل هناك أجل منه في معرفة علل الحديث ، إضافة إلى أن الترمذي كان من أبرع تلاميذ البخاري ، فيسأل شيخه سؤال البصير ، فهو من أحذق العارفين بمواطن الأوهام ، واللبس إذ هو ممن دار عليهم علم العلل في زمانه.

[٣] يناقش الكتاب كثيراً من العلل ويبين أسبابها ، وأنواعها ، كما تعرض الكتاب لكثير من الأحكام المتعلقة بنقد الرجال ، وكذلك احتوى على كثير من المصطلحات والقواعد الحديثية . فلا شك أن هذا كله يبين لنا عظمة تلك الجهود التي قدمها الإمام الترمذي خدمة لعلم علل الحديث.

المطلب الثالث : العلل الصغير :

المتتبع لجامع الترمذي ، والعلل الكبير ، والصغير ، يجد بين المصنفات الثلاثة هذه علاقة وثيقة ، فيبين الإمام الترمذي أن كتابه الجامع كتاب معلل ، والإعلال هذا يبينه من خلال العلل الكبير الذي صنفه مستقلاً عن كتابه الجامع ، فكأنما أراد بتصنيفه المستقل هذا أن يناقش العلل بشيء من التفصيل الذي لا يناسب تصنيف الجامع للسنن[١]، ثم يأتي العلل الصغير بمثابة موجه ومرشد للكتابين ، فهو ـ أي العلل الصغير ـ امتداد لجامع السنن ففيه يذكر الترمذي أهم رجال إسناده ، ومصطلحاته ، ويقول الدكتور همام عبد الرحيم في تحقيق شرح علل الترمذي ، عن العلل الصغير مع أن هذا الكتاب مسبوق بجهود متفرقة في علم الدراية كما هو مسبوق بمقدمة صحيح مسلم التي حددت مقاصد مسلم ورجاله وبعض آرائه ، رغم كل هذا فإن كتاب العلل الصغير للترمذي جاء أتم وأكمل ، وجاز لنا أن نعتبره أول مصنف في علوم الحديث ، وموضوعاته أشمل وأدق من موضوعات المحدث الفاصل للرامهرمزي الذي قيل فيه أنه أول مصنف في علوم الحديث[٢].

الكتاب بلا شك على قدر كبير من الأهمية ولكن هذا لا يجيز لنا أن نعتبره أول مصنف في علوم الحديث كما قال الدكتور همام عبد الرحيم ، فالمحدث الفاصل للرامهرمزي، ومقدمة صحيح مسلم قد سبقا العلل الصغير في التصنيف في علم الدراية .

ذكر الإمام الترمذي في علله الصغير مصادره في العلل ، كما تكلم الترمذي على جواز الحكم على الرجال ونقدهم ويبين أن ذلك ليس لأجل الغيبة

---

(١) انظر : شَرْحُ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ لابن رجب للإمام ، الحنبلي ، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد ، ١ / ٢٨.

(٢) انظر : المرجع السابق ١/ ١٢ .

والطعن على الناس ، وإنما هو من باب النصيحة للدين . كما تناول الكتاب الرواية بالمعنى فقال : فأما من أقام الإسناد وحفظه وغير اللفظ فإن هذا واسع عند أهل العلم إذا لم يتغير المعنى[١]. كما تعرض الكتاب لطرق تحمل الحديث ، والكلام عن كتابته وتدوينه . ولعل أهم ما تناوله الكتاب هو الكشف عن معاني المصطلحات التي استخدمها الترمذي ، فشرح مصطلح الحسن و الغريب فيقول : وما ذكرنا في هذا الكتاب حديث حسن فإنما أردنا به حسن إسناده ـ كما يقول ـ : عندنا كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن[٢] وهذا أحد التعريفات المعتمدة عند أهل العلم ، فهناك من عرف الحسن كالخطابي فقال هو : ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث[٣]. وعرفه ابن الجوزي ، بأنه : الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل[٤]. كذلك تناول الكتاب معنى الحديث الغريب وقال إن أهل الحديث يستغربون الحديث لمعان ، رب حديث يكون غريبا لا يروى إلا من وجه واحد ، مثل ما حدث حماد بن سلمة ، عن أبي العشراء ، عن أبيه قال قلت : يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في الحلق واللبة ؟ فقال لو طعنت في فخذها أجزأ عنك[٥]، فهذا حديث تفرد به حماد بن سلمة عن أبي العشراء ولا يعرف لأبي العشراء عن أبيه إلا هذا الحديث وإن كان هذا الحديث مشهورا عند أهل العلم وإنما اشتهر من حديث حماد بن سلمة لا يعرف إلا من حديثه فيشتهر الحديث لكثرة من روى عنه . مثل ما روى عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الولاء وعن هبته[٦] وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن دينار رواه عنه عبيد الله بن عمر وشعبة وسفيان الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وغير واحد من الأئمة

---

(١) انظر : العلل الصغير،للترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، طبعة : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١ / ٧٤٦

(٢) انظر : المرجع السبق ،١ / ٧٥٦ .

(٣) انظر : التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث ، للإمام النووي ، المكتبة الشاملة ، موقع الوراق ، ١ /٢ .

(٤) انظر :الغاية في شرح الهداية في علم الرواية ، للإمام السخاوي، تحقيق: أبو عائش

(٥) أخرجه الترمذي في السنن ، باب الذكاة في الحلق واللبة ، ٤/ ٧٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ، باب ذكاة المتردية في البئر ، ٣ / ٦٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه باب من قال تكون الذكاة في الحلق واللبة ، ٥/ ٣٩٣ .

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، باب مصير الولاء لمن أعتق ، ٢/ ٧٨٢ . وأخرجه الإمام الترمذي في السنن ، في باب النهي عن بيع الولاء وعن هبته ، ٤ / ٤٣٧ .

وروى يحيى بن سليم هذا الحديث عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فوهم فيه يحيى بن سليم والصحيح هو عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر هكذا روى عبد الوهاب الثقفي وعبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر وروى المؤمل هذا الحديث عن شعبة فقال شعبة لوددت أن عبد الله بن دينار أذن لي حتى كنت أقوم إليه فأقبل برأسه[1] . ولذ يعتبر العلل الصغير من أوائل المصنفات التي تناولت علم الدراية ، وأنه موجه ودليل لجامع الترمذي وعلله الكبير .

المبحث الثالث

منهج الإمام الترمذي في إعلال الحديث

المطلب الأول : تعريف العلة والكشف عنها عند الإمام الترمذي :

عرف أهل الحديث العلة ، بأنها سبب غامض وخفي ، يقدح في صحة الحديث ، وعرفوا الحديث المعلول بأنه : الذي اطلع فيه على علةٍ تقدحُ في صحته ، مع أنّ ظاهره السلامة منها[2]، وقيل هو حديث ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح [3] . ومفاد هذا التعريف أن العلة عبارة عن شيء خفي غامض يقدح في صحة الحديث ، دون أن يوضح حقيقة هذا الشيء ، وما هذا الشيء ؟ ، ولكن المتقدمين من أهل هذا الفن يتوسعون في تعريف العلة ، فيدخلون ما يقع القدح فيه بالسبب الظاهر، فيقول ابن الصلاح : (قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرناه من باقي الأسباب القادحة في الحديث المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف المانعة من العمل به على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل . ولذلك تجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب والغفلة وسوء الحفظ ونحو ذلك من أنواع الجرح)[4].

---

(1) انظر : العلل الصغير، للترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، طبعة : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١ /٧٥٨ ..

(2) انظر : مقدمة ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، مكتبة الفارابي،الطبعة : الأولى ، ١٩٨٤ م ، ١ /٥٢

(3) انظر : فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ١ /٢٢٧ .

(4) انظر : مقدمة ابن الصلاح ١ / ٥٢

فالإشارة إلى هذه التعريفات مهم باعتبار أن الترمذي من الذين توسعوا في تعريف العلة ، حيث جعل النسخ علة من علل الحديث[1]. كما أنه قد توسع في مدلولها . فالحديث يعل عنده بالنسخ ، والاضطراب ، والإرسال والانقطاع . وهذه أمور ظاهرة ، لكن ربما خفي سبب ذلك الضعف على بعضهم فاعتبر من الأسباب الخفية .

إن الإمام الترمذي من أهل الخبرة والفهم الثاقب في العلل ، ولذا عندما يسأل الإمام الترمذي أحد شيوخه عن علة حديث ، فإنما يسأله سؤال من انقدح في نفسه شيء من ذلك الحديث ، ولذا حصر أسئلته في جملة الأحاديث التي أوردها في العلل الكبير ، ولم يتعدى إلى سواها من بقية الأحاديث التي حكم عليها بالصحة . فمثال ما أورده في العلل الكبير حديث : (إذا توضأ العبد فتمضمض خرجت الخطايا من فيه)[2] وهو حديث رواه الإمام مالك وغيره بأسانيد مختلفة فرواه مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة وهذا هو الذي أورده الإمام الترمذي في السنن وحكم عليه بقوله : حديث حسن صحيح[3] ، أما إسناد مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي هو الذي سأل عنه الإمام البخاري فأجابه بقوله : (مالك بن أنس وهم في هذا الحديث ، فقال : عبد الله الصنابحي ، وهو أبو عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن بن عسيلة ، ولم يسمع من النبي ﷺ ، وهذا الحديث مرسل)[4] فالحديث معلول بالإرسال لأن أبا عبدا لله الصنابحي لم يسمع من النبي ﷺ .

---

(1) انظر : شرح التبصرة والتذكرة ، الحافظ العراقي ، تحقيق : د. ماهر ياسين الفحل، مكتبة المشكاة ، ٩/١ .

(2) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، في كتاب الطهارة ، باب جامع الوضوء ، (انظر: موطأ الإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ، ٢ / ٤١ . وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، في كتاب الطهارة ، (انظر :المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، طبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت ١/ ٢٢٠) . وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ، في باب : مسح الأذنين مع الرأس ، ١ / ٨٦ .

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في أبواب الطهارة ، باب : ما جاء في فضل الطهور (انظر : سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، طبعة :دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١ /٦ .

(٤) انظر : علل الترمذي الكبير ، رتبه : أبو طالب القاضي ، تحقيق صبحي السامرائي , وأبو المعاطي النوري , ومحمود محمد الصعيدي ، طبعة عالم الكتب , و مكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٩هـ ، بيروت ، ١ /٢

إن ما يميز منهج الإمام الترمذي في كشف العلة هو دقة النظر وعمقه في فحص الأسانيد ، مما يجعله يتوقف في بعضها ، باحثاً عن عللها ، وهذا قد يفوت على بعض أهل هذا الفن . كما وقع للإمام الحاكم أبي عبد الله النيسابوري في المستدرك حيث قال معلقاً على الحديث : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و ليس له علة إنما خرجا بعض هذا المتن ، من حديث حمران عن عثمان ، و أبي صالح عن أبي هريرة غير تمام ، و عبد الله الصنابحي صحابي و يقال : أبو عبد الله الصنابحي صاحب أبي بكر الصديق رضي الله عنه عبد الرحمن بن عسيلة[1]. والبخاري قد فرق بين عبد الله الصنابحي وأبي عبد الله الصنابحي ، فالأول صحابي وهوالصنابح بن الأعسر الأحمسي ، والثاني هو صاحب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد أورد البخاري في تاريخه الكبير : عن ابى الخير عن الصنابحى: انه قال له : متى هاجرت ؟ قال: خرجنا من اليمن مهاجرين فقدمنا الحجاز فأقبل راكب فقلت له : الخبر؟ فقال: دفنا النبي ﷺ منذ خمس[2]فالكشف عن العلة عند الترمذي يعتمد على معرفته وفهمه الثاقب ، وسؤاله لشيوخه في العلل .

المطلب الثاني : مصادر العلل عند الإمام الترمذي :

يذكر الإمام الترمذي مصادر علله بوضوح فيقول : وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث ، والرجال ، والتاريخ فهو ما استخرجته من كتب التاريخ - يعني بكتب التاريخ ، التاريخ الكبير والتاريخ الصغير للإمام البخاري - ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل ، ومنه ما ناظرت به عبد الله بن عبد الرحمن ، وأبا زرعة، وأكثر ذلك عن محمد وأقل شيء فيه عن عبد الله وأبي زرعة . ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثير أحد

(1) انظر المستدرك علي الصحيحين ، للإمام الحاكم ، ١ / ٢٢٠ .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب بعث النبي ﷺ ، ٤ / ١٦٢١ . وانظر تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد عوامة ، ط : ١ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار الرشيد سوريا ، ١/ ٣٤٦

أعلم من محمد بن إسماعيل[1] .فمن ما اعتمد عليه الترمذي في كشف العلل ، كثرة مطالعته ، فهو في بعض الأحيان يشير بنفسه إلي سبب العلة .

المطلب الثالث : المصطلحات التي أعل بها الترمذي الحديث :

اعتمد الإمام الترمذي جملة من المصطلحات لبيان علة الحديث ، منها ما هو وصف مشايخه ، ومنها ما أطلقه هو بنفسه . ومنها ما يعود لأسباب خفية ، ومنها ما هو ظاهر السبب . وقد توسع الإمام الترمذي فأدخل الطعن في الرواة ، واستخدم العبارات الدالة على الجرح لبيان العلة .

و هنا أعرض بعض المصطلحات والعبارات التي أعل بها الإمام الترمذي الأحاديث ، فمن تلك المصطلحات التي تشير إلى الأسباب الخفية:

[١] الوهم :

الوهم من الأسباب التي أعل بها الترمذي الحديث ، ويعتبر الوهم من الأسباب الخفية لاحتمال وقوعه لبعض الثقات ، والثقات أحاديثهم صحيحة ، فلو عرض الوهم لأحدهم في حديث واكتشف هذا الوهم لاعتبر الحديث معلولاً ، وأول حديث أورده في العلل الكبير معلول بسبب الوهم ، وعلته أنه مرسل . قال أبو عيسى الترمذي سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن حديث مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي أن رسول الله ﷺ قال إذا توضأ العبد فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث ، فقال مالك بن أنس وهم في هذا الحديث ، فقال عبد الله الصنابحي وهو أبو عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن بن عسيلة ولم يسمع عن النبي ﷺ وهذا الحديث مرسل .[2] وهذا مثال آخر لبيان الوهم : يروي الترمذي : حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا أبو الجواب الأحوص بن جواب ، عن عمار بن رزيق ، عن الأعمش ، عن شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : صليت خلف النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر فكانوا

---

(1) انظر: العلل الصغير للترمذي ، ٧٣٨/١

(2) انظر : علل الترمذي الكبير، ترتيب: أبو طالب القاضي، دار النشر: عالم الكتب ,مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: صبحي السامرائي , أبو المعاطي النوري , محمود محمد الصعيدي ، ١ / ٢١ .

يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين قال أبو عيسى : هذا وهم والأصح شعبة ، عن قتادة ، عن أنس[١]

[٢] الخطأ :

الخطأ من الأحوال التي تعرض للثقات ، وإن كان قليلاً ونادراً في حقهم والخطأ يعد من الأسباب الخفية ، فيكون حديث الثقة صحيحاً إن لم يكتشف ، وباكتشافه يصير الحديث معلولاً ، وقد أعل الترمذي بعض الأحاديث بسبب خطأ الرواة ، ومثال ذلك ما أورده في علله : حدثنا هناد حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن عمرو بن خزيمة المدني عن عمارة بن خزيمة عن خزيمة بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ في الاستطابة ثلاثة أحجار ليس فيه رجيع

وقال وكيع عن هشام عن أبي خزيمة عن عمارة بن خزيمة عن خزيمة بن ثابت عن النبي ﷺ .

وقال أبو معاوية عن هشام بن عروة عن عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن خزيمة عن عمارة بن خزيمة عن خزيمة بن ثابت .

وقال مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ . فسألت محمدا عن هذا الحديث فقال الصحيح ما روى عبدة ووكيع وحديث مالك عن هشام بن عروة عن النبي ﷺ صحيح أيضا . وأبو معاوية أخطأ في هذا الحديث إذ زاد عن عبد الرحمن بن سعد .[٢]

[٣] النسيان :

النسيان مقابل دوام الضبط ، وهوأحياناً يعرض للثقات حيث يختل ضبط أحدهم بسبب الاختلاط ، أو بفقده كتابه الذي يحدث منه ، فيحدث من حفظه فيختل حفظه . وقد أعل الترمذي رواية زهير عن أبي إسحق في الاستنجاء بالحجرين لأن زهير سمع أبا إسحق بعد اختلاطه ، قال أبو عيسى : وزهير في أبي إسحاق ليس بذاك لأن سماعه من أبي إسحاق بآخرة وأبو إسحاق في آخر زمانه كان قد ساء حفظه[٣] .

[٤] عدم ثبوت السماع :

---

(١) انظر : علل الترمذي الكبير ١ /١١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ١ /٢٧ .
(٣) انظر : علل الترمذي الكبير ، ١ /٢٩ .

من أسباب وقوع العلة في الحديث عدم ثبوت السماع ، وقد أورد الإمام الترمذي أحاديث أعلها بنفي سماع الراوي ومثال ذلك قوله : حدثنا محمد ابن حميد الرازي حدثنا الفضل بن موسى حدثنا أبو فروة الرهاوي عن معقل الكناني عن عبادة بن نسي عن أبي سعد الخير قال : قال رسول الله ﷺ إن الله لم يكتب على الليل الصيام فمن صام فليتعن ولا أجر له

سألت محمدا عن هذا الحديث فقال أرى هذا الحديث مرسلا وما أرى عبادة بن نسي سمع من أبي سعد الخير[١]

هذه نماذج لبعض المصطلحات التي استخدمها الترمذي في بيان علة الحديث ، كما أنه أحياناً يذكر أسباباً ظاهرة ، مثل قوله : حديث فلان ليس بمحفوظ ، وفلان يروي مناكير ، وفلان منكر الحديث ، وهذا حديث فيه اضطراب ، إلى غير ذلك من عبارات الجرح والتضعيف . وقد عد الترمذي هذه العبارات من أسباب وقوع العلة لأنها ربما خفيت على البعض ، فعد الحديث صحيحاً [٢]

المطلب الرابع : أنواع العلل عند الترمذي :

لم يتناول الترمذي عللاً بعينها ، من خلال تصنيف العلل ، بل ذكر أغلب أنواع العلل وأجناسها إلا القليل . فأغلب ما ذكره من العلل من نوع العلة القادحة في صحة الحديث ، وربما يناقش بعض الروايات فتتضح صحتها مثل قول الترمذي : سألت محمدا عن حديث مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل بني الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنا نركب البحر... الحديث ، فقال هو حديث صحيح .

ومن أظهر أنواع العلل وأجناسها الإعلال بالإرسال ، و بالوقف ، وبالشذوذ ، وبالاضطراب وأذكر هنا بعض الشواهد التي تشير إلى هذه الأنواع :

[١] الإعلال بالإرسال :

ومثاله : حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة .

سألت محمدا عن هذا الحديث فقال يروى عن ابن ثوبان عن النبي ﷺ مرسلا[٣].

---

(١) انظر : علل الترمذي الكبير ١ /١١٤ .

(٢) راجع العبارات التي استخدمها الترمذي في العلل الكبير

(٣) انظر : علل الترمذي الكبير ، ١ / ٩٥

[٢] الإعلال بالوقف :

عن رجل من بني غفار قال نهى رسول الله ﷺ عن فضل طهور المرأة أو قال سؤرها ورواه شعبة عن عاصم الأحول عن أبي حاجب عن الحكم الغفاري عن النبي ﷺ نحوه

سألت محمدا عن هذا الحديث فقال ليس بصحيح وحديث عبد الله بن سرجس في هذا الباب هو موقوف ومن رفعه فهو خطأ[١]

[٣] الإعلال بالشذوذ :

حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر عن أبي قتادة أنه رأى النبي ﷺ يبول مستقبل القبلة .

حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي عن محمد ابن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد عن جابر قال نهى النبي ﷺ أن نستقبل القبلة ببول فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها

قال أبو عيسى والحديث الأول حديث جابر عن أبي قتادة ليس بمحفوظ[٢].

[٤] الإعلال بالاضطراب :

ومثال وقوع العلة بالاضطراب قول الترمذي : حدثنا علي بن خشرم أخبرنا عيسى بن يونس عن أبي عبد الله عن خالد الحذاء عن عراك بن مالك عن عائشة قالت ذكرت لرسول الله ﷺ أن قوما يكرهون أن يستقبلوا القبلة بغائط أو بول فأمر بخلائه فاستقبل به القبلة ، ورواه حماد ابن سلمة عن خالد الحذاء عن خالد بن أبي الصلت قال كنا عند عمر بن عبد العزيز فذكروا استقبال القبلة فقال عراك بن مالك قالت عائشة ذكر عند النبي ﷺ أن ناسا يكرهون أن يستقبلوا القبلة الحديث ، فسألت محمدا عن هذا الحديث فقال هذا حديث فيه اضطراب والصحيح عن عائشة قولها[٣]

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ١ / ٤٠ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ١ / ٢٣ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ١ / ٢٤

ومثال آخر :قال الإمام الترمذي : (في التعجيل بالظهر سألت محمدا عن حديث حكيم بن جبير ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : ما رأيت أحدا كان أشد تعجيلا للظهر من رسول الله ﷺ ، ولا من أبي بكر ، ولا من عمر فقال : يروى هذا أيضا عن حكيم ، عن سعيد بن جبير ، عن عائشة ، وهو حديث فيه اضطراب)[1]

كانت هذه أبرز ملامح منهج الإمام الترمذي في إعلال الحديث من خلال كتابه العلل الكبير .

خاتمة :

إن الباحث في علم العلل ، ومنهج أهله فيه ، يدرك أنه لا يوجد منهج أدق في نقد الوقائع ، والتثبت من حقيقتها من منهج نقاد الحديث خاصة الذين اشتغلوا بعلم العلل ، حيث جعلوا محل دراستهم أحاديث الثقات ، والتي خضعت لكل قواعد القبول ، فصنفت من ضمن الروايات المقبولة ، فتخضع هذه الروايات لنظرة أكثر عمقاً ، من رجال أكثر خبرة ودراية وحذاقة ، فيظهر لهم ما يقدح في صحتها ، بعد أن كان ظاهرها السلامة . فكان الإمام الترمذي من الذين قدموا جهوداً عظيمة في هذا العلم ، ولخص هذه الجهود في كتابه العلل الكبير الذي بين فيه الروايات المعلولة ، وجعله مصنفاً مستقلاً عن السنن ، فهو بعد إتيانه بالأحاديث في السنن والحكم على بعضها بالصحة أو غير ذلك، فإن كانت للحديث روايات أخرى فيها علة أخرجها وجعلها في كتابه العلل .

وبين الإمام الترمذي من خلال كتابه العلل الكبير مصادره في إعلال الحديث، ويكاد يكون قد تناول جميع أجناس العلل ، ولم يكتف بذلك بل ذكر كثيراً من أحوال الرواة والتميز بين من تشابه منهم ، وكذلك احتوى الكتاب على كثير من الأحكام على الرواة ، والأحاديث بأحكام ظاهرة .

وقد اتضح من خلال هذه الدراسة أنه من الضروري أن يلتفت الباحثين في علوم الحديث إلى علم العلل ، والاهتمام به ، والتركيز على البحث في جوانبه المختلفة فما تزال مصادره ومعارفه بكراً تحتاج من يحرثها لتخرج شطئاً طيباً . والحمد لله على جزيل نعمائه ، والصلاة والسلام على خير رسله وأنبيائه .

---

(1) المرجع السابق ، ١ / ١٥٢ .